خطبة صلاة الجمعة 3/ 7/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(البركة في القرآن الكريم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1، 2].

قال ابن كثير: يهدي إلى الرُّشد أي يهدي إلى السَّداد والنَّجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

قال المفسرون: معنى قوله: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَّشَد والرُّشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ✕: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّ إِلاَّ نَفْسَهُ وَلاَ يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة الرابعة والعشرون في سلسلة (دليل إرشادي)، تتناول كلُّ خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية وقع فيها عددٌ منَّا وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتُقدِّم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى، تعينه على رؤية الطريق وتُمكِّنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزةً تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة، لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنة والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **(البركة في القرآن الكريم)**

المسألة: في ظل الغلاء الذي نعيش، ومع قلة ذات اليد يعجب أحدنا كيف يحيا موظف شريف لا يمد يده للحرام مع زوجه وثلاثة أولاد بدخلٍ شهري لا يتجاوز المائة ألف، وكيف تعيل امرأة أيتامها الأربعة وليس بين يديها إلا اليسيرُ من المال مع ما يعينها به بعض أهل الخير، وكيف تمر هذه الأيام على مريض بمرض مزمن يحتاج دواءً غالي الثمن وليس يملك إلا القليلَ من المال.

لاريب أن الله تعالى كافٍ عبادَه، ولاريب أن البركة تحيط بنا من كل جانب مع ما يحيط بنا من المتاعب، فحدثني عن البركة وأخبرني عن الأسباب الجالبة لها.

الدليل الإرشادي:

أيها الإخوة: البركة في لسان العرب هي النماء والثبات والكثرة في الخير، قال النووي عند قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] معناه: ثبت الخير عنده وكثر.

وقد تكون البركة في الشيء الكثير وقد تكون في القليل، وقد تكون جلية وقد تكون خفية، وقد تكون دنيوية وقد تكون أخروية.

فالبركة في الكثير بيّنة، أما البركة في القليل فكطعام قليل يكفي العدد الكثير من الناس مع السرور والعافية، وما قصة سيدنا جابر في دعوته أهلَ الخندق للطعام عنكم ببعيد.

والبركة الجلية بيّنة، أما البركة الخفية فقد تكون بدفع المضرات والجوائح والآفات، وما قصة الثلاثة الذين حُبسوا في الغار وأنجاهم الله منه عنكم ببعيد.

والبركة الدنيوية بيّنة، أما البركة الأخروية فهي النماء ومضاعفة الأجر في الأعمال الصالحة.

وقد ذهبت إلى القرآن الكريم أبحث فيه عن البركة فوجدت: الباء والراء والكاف مع ما يتصل بها ورد في القرآن الكريم في ثنتين وثلاثين موضعاً، تنتظم في خمسة فوائد، ستكون مادة الخطبة.

- أما الفائدة الأولى: **فالبركة كلها من الله تعالى:** ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: 61] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1] والمعنى كَثُرَ خيرُ ربنا ونما واستقر.

ومن أجل هذا كان ﷺ يطلب البركة من صاحبها ويسأل البركةَ خالقَها جل جلاله.

فإذا أكل ﷺ أو شرب دعا الله: «اللَّهمَّ بارِك لنا فيما رَزَقْتَنا، وقِنا عذابَ النَّارِ» [الموطأ]، «اللَّهمَّ بارِك لنا فيه، وأطعِمنا خيراً منه» [الترمذي وأبو داود].

وإذا هنأ رجلاً بزواجه سأل الله له البركة: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير» [أبو داود والترمذي].

وإذا فعل معه إنسانٌ معروفاً دعا له بالبركة: «بارك اللهُ في أهلك ومالكَ» [النسائي].

ويدعو الله لبلده بالبركة: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مُدِّنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين» [مسلم].

ودعا ﷺ للشام واليمن بالبركة فقال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يَمَننا» [البخاري].

فالبركة كلها من الله تعالى وحده ومن أرادها فليسألها ربَها.

- وأما الفائدة الثانية: **فلن تُعْدَم هذه الأرض وهؤلاء العباد بركة الله تعالى مهما أرادها أهل السوء بسوئهم**، فطيبوا بها نفساً:

قال تعالى في سورة هود: ﴿قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48] قال الزمخشري والنسفي: (قوله: (وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) يحتمل أن يراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة، ويحتمل أن يراد على أمم ناشئة ممن معك، وهي الأمم إلى آخر الدهر قال المفسرون: (وهو الوجه) يرجحون المعنى الثاني أن الله تعالى سيلقي البركات والخيرات الكثيرات على أمم الأرض.

وقل مثل ذلك في قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: 9، 10]).

فإذا كان الله تعالى بارك في الأرض وبارك في الأمم الناشئة في الأرض فلا نُعدَم - بإذن الله - خيرَ ربنا وبركته.

وأما الفائدة الثالثة: **فأرض الشام أرض مباركة:**

قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71] جاء في تفسير الطبري: (هي أرض الشام).

وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 81] جاء في تفسير النسفي المراد بالأرض التي باركنا فيها الشام، بكثرة الأنهار والأشجار والثمار).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: 18] جاء في تفسير الزمخشري: (الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها هي قرى الشام، بارك الله فيها بالخصب والنماء، وسعة الأرزاق والخيرات والأمطار ووفرة الأنهار).

وغيرها من الآيات، فالشام أرض مباركة يعين اللهُ أهلَها بإذنه ويكفيهم بكفايته، وقد دعا لها إضافة إلى ذلك رسول الله ﷺ بالبركة كما سمعتم «**اللهم بارك لنا في شامنا**».

- وأما الفائدة الرابعة: **تقوى الله والإيمان تفتح أبواب البركة:**

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96] جاء في تفسير البيضاوي: (لوسّعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب) ومن تقوى الله اتباع كتابه فمن اتبعه نال البركة كلها ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155].

أخرج الإمام البخاري عن حكيم بن حزام رضي الله عنهما أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إن صَدَقَ البيِّعانِ وبيّنا، بورِكَ لهما في بيْعِهما، وإن كَتَما وكذَبا، فعَسَى أنْ يرْبَحا رِبحًا ما، ويَمحَقا بركَةَ بيْعِهما، اليمينُ الفَاجِرَةُ: مَنفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**».

فمن أراد البركة فليلزم تقوى الله تعالى.

ومن تقوى الله إفشاء السلام بيننا فإنه يزيد البركة قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61]، وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا بُنَيَّ، إذا دخلتَ على أهلك فَسلِّم، يَكُنْ سلامُك بركة عليك وعلى أهل بيتك**».

ومن تقوى الله تعالى كثرة ذكر اسم الله تعالى على كل عمل وقول، قال تعالى في خاتمة سورة الرحمن ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78] قال في تفسير زاد المسير: (أي: البركة تكتب وتنال وتكسب بذِكْر اسمه سبحانه).

أخرج أبو داود عن وحشي: «**أنّ أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع؟ قال: لعلَّكم تفترِقُون؟ قالوا: نعم، قال: فاْجتَمعِوُا على طعامكم، واذكروا اسْمَ الله، يُبَارَكْ لكم فيه**».

فالحاصل أن من أراد البركة فليلزم التقوى.

- وأما الفائدة الخامسة الأخيرة: **فالزراعة فيها بركة والزيتون شجر مبارك**:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

وأخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُوا الزَّيْتَ وادَّهنُوا به، فإنه من شجرة مُباركة**».

فها هو القرآن والسنة يسميان الزيتون شجراً مباركاً، وقد جاء نحو ذلك عن الزروع والثمار، فليعلم الناس أن في الزراعة بركة وأن في استثمار الأراضي الزراعية خيراً.

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخ صاحب المسألة وأشباهه: البركة نعمة من نعم الله تجعل القليل كثيراً والعسير يسيراً، وهي بيد الله وحده فاسأله منها مع سعيك في رزقك، واعلم أن الله تعالى برحمته لن يحرم هذه الأرض بركته ولن يسلط على الشام هلكته مادام كتابُ الله وسنةُ رسوله في صدورهم وتقوى الله حاكمةً في أمورهم.

واذكر بأن الزراعة نماءٌ وبأن الزيتون بركة وغذاء، والله أعلم

ختاماً – أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**».

والحمد لله رب العالمين